لا بد من دُبَر وإن طال السفر

كتب/ كمال بن محمد الريامي

دَبَر هجرة من اقدم هجر العلم في اليمن، وحاضرة من حواضر صنعاء العلمية في القرنين الثاني والثالث الهجريين. رحل اليها الاعلام من جميع انحاء العالم الإسلامي، وقصدها الإمام الشافعي لطلب العلم، وعشقها المغاربة، وترنم بها اهل العراق، وكانت بجانب ذلك غاصة بطلبة العلم الذين يأتونها من داخل اليمن.. فلهذه الاسباب حازت على قصب السبق بين هجر العلم ومعاقله المنتشرة في طول اليمن وعرضها، واشتهرت عند الناس - انذاك - وحرص المؤرخون على تدوين أخبارها واحداثها.

دبَر عند المؤرخين

وبداية ذكرها الرحالة الشهير ياقوت الحموي في كتابه "معجم البلدان" نقلاً عن الجوهري فقال: (دبر بفتح أوله وثانيه قرية من نواحي صنعاء باليمن، وينسب اليها ابو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عباد الدبري الصنعاني، حدث عن عبدالرزاق بن همام، وروى عنه ابوبكر بن المنذر والطبراني وجماعة).

وذكر الهمداني في كتابه "صفة جزيرة العرب" بزيادة هاء في آخرها، وعلّق على ذلك المؤرخ الرآحل محمد بن علي الاكوع فقال: (دبرة بفتح الدال وسكون الباء الموحدة ثم راء وهاء، واد وقرية خربة جنوب شرقي "ضبر خيرة" والميها ينسب إسحاق بن إبراهيم الدبري المحدث). وقال الحجري: (دبر بفتح الدال والباء الموحدة ثم راء مهملة قرية إسحاق الدبري وهي في بلاد سنحان جنوبي صنعاء، تبعد عنها مسافة نحو اربع ساعات "سيراً على الاقدام" وهي الآن خراب قرب دار عمرو في وادي الفروات).

ووافق المؤرخ ابن مغربة العلّامة الهمداني على ان دَبر تنطق دبرة بزيادة هاء في آخرها، وأشار العلامة الراحل عبدالرحمن بعكر إلى ان العامة في عصرنا ينطقونها طبر بإبدال الدال طاء، وذكرها المؤرخ الجندي فقال: (دبر قرية على نصف مرحلة من صنعاء، ينسب إليها الإمام أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن عباد بن سمعان الدبري) وتابعه كلام المؤرخين في الحديث عن دبر فكلام المؤرخ المحقق والدقيق، الحجية في علم التاريخ، القاضي إسماعيل بن علي الاكوع حيث يقول: (دبر هجرة قديمة خربة لم يبق منها إلا المسجد، وتقع في وادي الفروات من مخلاف سنحان على مقربة من قرية "ضبر خيرة" التي تقع شرق الطريق العام التي تربط صنعاء بتعز على مسافة ٣٢ كيلو متراً جنوباً من صنعاء، سماها المؤرخ الجندي في كتابه السلوك "دبرة" وضبطها بفتح الدال والباء الموحدة والراء وسكون الهاء، وقال: وهي على نصف مرحلة من صنعاء والأشهر بحذف الهاء).

أعلام دَبر

لا شك ان دَبر انجبت العديد من العلماء المحدثين، بدل على ذلك كثرة الراحلين اليها، لكن التاريخ - وهذه عادته مع اعلام اليمن - لم يحدثنا سوى عن رجلين نبغا من هذه القرية، وكانا السبب وراء شهرتها ومجيء طلبة العلم إليها. اولهما القاضي حسين الدبري، الذي رحل إليه الإمام محمد بن إدريس الشافعي، وعناه بقوله:

لابد من صنعاء وإن طال السفر
وقصد القاضي إلى هجرة دَبَر

يقول المؤرخ يحيى بن الحسين بن القاسم في كتابه "ابناء الزمن" عند حوادث سنة ١٦٧هـ: (وفيها أو في غيرها طاف محمد بن إدريس الشافعي ودخل كثيراً من الاقطار لطلب العلم، فوصل اليمن ودخل صنعاء فأخذ عن قاضيها هشام بن يوسف وغلوف بن باذان وهما من كبار اصحاب ابن جريج - الذي ذكر انه أخذ علم عطاء - ومن العجائب التي اتفقت للشافعي في اليمن القصة المشهورة التي ذكرها اهل الفرائض، في باب ميراث الحمل، انه دخل على شيخ باليمن لسماع الحديث فجاء خمسة كهول فسلّموا عليه ثم خمسة صبيان فقال من هؤلاء؟ قال الشيخ: أولادي كل خمسة منهم في بطن والشيخ الذي عُني هو القاضي حسين الدبري الذي كان مسكنه "الهجرة" عند "ضبر خيرة" بوادي الفروات من بلاد سنحان وكان الشافعي يقول:

لابد من صنعاء وإن طال السفر
وقصد القاضي إلى هجرة دَبَر

نقلاً عن مجموع الحجري ومن خلال هذه القصة يتضح لنا ان الدبري "حسين" كان محدثاً وعالماً في الفرائض وهذا كل ما نعرفه عنه.

أبو يعقوب الدبري

وثانيهما من مشاهير "دبر" الإمام إسحاق بن إبراهيم بن عبّاد بن سمعان الدبري، المكنى بابي يعقوب، وصفه المؤرخ الشهير شمس الدين الذهبي فقال: (الدبري الشيخ العالم المسند الصدوق)، واثنى عليه المؤرخ إسماعيل بن علي الاكوع فقال (إمام عالم، محدث حافظ) كان ابوه عالماً، ويسر له طلب الحديث على يد أكبر المحدثين في عصره، الا وهو الإمام عبدالرزاق بن همام الصنعاني.

وسمع عن عبدالرزاق وهو ابن سبع سنين، وكان والده هو الذي يقرأ على عبدالرزاق وهو يسمع، فلذلك عندما كبر وصار محدثاً كان يقول: (قرأنا على عبدالرزاق اي قرأ غيره وهو يسمع) وقد عد علماء الحديث سماعه صحيحاً قال الحاكم: سألت الدار قطني عن إسحاق الدبري، ايدخل في الصحيح؟ "اي حديثه" فقال: إي والله، هو صدوق ما رأيت فيه خلافاً وكان من القلة الذين رووا جامع معمر بن راشد في الحديث النبوي عن عبدالرزاق.

تلامذته

ومن اشهر تلامذة الإمام الحافظ ابي يعقوب إسحاق بن إبراهيم الدبري: ابو عوانة الاسفراييني، وخيثمة بن سليمان، ومحمد بن محمد بن عبدالله بن حمزة الحمال، وابو القاسم الطبراني صاحب كتاب المعاجم الثلاثة في الحديث النبوي والمكونة من ٣٦ مجلداً، وابو جعفر محمد بن عمرو العقيلي المكي صاحب كتاب الضعفاء الكبير في ٤ مجلدات. هؤلاء جميعاً من بلدان إسلامية مختلفة تجشّموا عناء المشقة والسفر ليلتقوا بعالم دبر، إلى جانب تلامذة آخر لا يحصون كثرة. واما اليمن فمن أشهر تلامذته منها: محمد بن عبدالله النقوي نسبة إلى نقو من قرى صنعاء وضبطها ياقوت بتسكين القاف كما ذكر ذلك المحقق علي أبو زيد.

عشق المغاربة للدبري

ومن اكثر من رحل إليه طلاب العلم المغاربة، وقد بلغ من حبهم له انهم كانوا إذا اتوا مكة يعتمرون عنه، ويدعون له، ويخبرونه بذلك، فيسر من صنيعهم هذا، كما ذكر ذلك الإمام الذهبي.

وذكر مؤرخ اليمن إسماعيل الاكوع انه ورد في تاريخ صنعاء لاحمد بن عبدالله الرازي ص٣٣٥ ما نصّه: (حدثني رجل من أهل صنعاء من ولد الدبري قال: بلغني ان الحادي كان يحدو في طريق العراق وغيرها يقول:

لابد من صنعاء وإن طال السفر
لطيبها والشيخ فيها من دبر

وفاته

قال الذهبي: مات "الدبري" بصنعاء في سنة خمس وثمانين ومائتين وله تسعون سنة وإما مولده فقد ذكر الخليلي انه كان في سنة خمس وتسعين ومائة وقبره موجود في ساحة المسجد "الوحيد المتبقي من قرية دبر، من جهة الشرق، كما ذكر ذلك إسماعيل الاكوع.

فائدة

في الجاهلية وقبل الإسلام كانوا يقولون:

لابد من صنعاء وإن طال السفر
وإن تمنى كل عود وانعصر

ثم جاء الشافعي بعد الإسلام فقال:

لا بد من صنعاء وإن طال السفر
وقصد القاضي إلى هجرة دبر

وبعد الشافعي قال اهل العراق:

لا بد من صنعاء وإن طال السفر
لطيبها والشيخ فيها من دبر

فكانت صنعاء في البيت الأول الرحلة إليها مسألة تحد، وفي البيت الثاني كانت رحلة علم، وفي البيت الثالث رحلة سياحة وعلم وأخيراً ربما نسبت حارة الطبري بصنعاء القديمة للإمام الدبري أو احد من أبنائه لأنه وكما نرى حالياً فقد أبدل العامة دال دبر طاء فصارت «طبر» ولا يمنع ان تكون هذه الحارة قد نسبت لاحد الطبريين الذين قدموا اليمن مع الإمام الهادي.

المصادر والمراجع

١- سير اعلام النبلاء للإمام الذهبي ج ١٣ص ٤١٦-٤١٧ تحقيق الأستاذ علي ابو زيد.
٢- هجر العلم ومعاقله في اليمن للمؤرخ الكبير إسماعيل بن علي الاكوع مادة «دبر».
٣- علي عبدالله صالح، النسر السبئي، كتاب للمؤرخ الشاعر عبدالرحمن بعكر
٤- مجموع بلدان اليمن وقبائلها للعلامة محمد الحجري ، مادة «دبر».
٥- صفة جزيرة العرب، للعلامة الحسن الهمداني ، تحقيق القاضي العلامة محمد بن علي الاكوع.
٦- قطف الورد والريحان من تاريخ سنحان ، كتاب مطبوع لكاتب هذه المقالة.

هذا الدين العظيم

الخالق يقرن برّ الوالدين بعبادته

الزم الإسلام الآباء والأمهات بواجبات تجاه أولادهم، وجعل التفريط فيها سبباً لجلب غضب الله وعقابه وموجباً للعقاب الشعيري حرصاً على حقوق الأبناء ومصالحهم التي قد تتضرر بسبب إهمال الآباء أو تفريطهم في حقوق أبنائهم . وفي مقابل ذلك الزم الإسلام الأبناء بواجبات مادية ومعنوية تجاه آبائهم وجعل التفريط فيها موجباً لغضب الله وعقابه فضلاً عن عقاب الدنيا الذي لا يتصدق الفقهاء فيه بعد أن انتشرت رذيلة العقوق وزادت الآم ومآسي كثير من الآباء مع أولادهم بسبب عقوقهم وتمردهم .

عن فضل بر الوالدين تحدثنا الداعية الشهير الدكتور مبروك عطية الأستاذ بجامعة الأزهر فقول: لم يأت حث على فضيلة في كتاب الله ولم تأت توصية بأمر في شريعة الإسلام كما وردت التوصية ببر الوالدين، فقد قرن الله عز وجل عبادته وعدم الشرك به ببر الوالدين فقال: «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً» وقال في آية أخرى: «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً» إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً» . . وهناك العديد من الآيات القرآنية التي توصي الإنسان ببر والديه والإحسان إليهما حتى ولو كانا مشركين» . فالله سبحانه وتعالى يخاطب كل الإنسان قوله: «أوصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من اناب إلي ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعلمون.

وإلى جانب الأمر العام بالبر أعلى الإسلام منزلة كل إنسان يلزم نهجه الفضيلة فالحق سبحانه وتعالى يشيد بكل إنسان بر والديه ويجعل التوفيق في من أكبر النعم التي امتن بها على عباده فقال: «ووصينا الإنسان بوالديه حسنا» ويقول عز وجل في الحديث القدسي: «ما تقرب إلي عبدي بشيء أحب مما افترضت عليه» ويقول: «ما تقرب إلي عبدي بمثل أداء ما افترضت عليه» ويقول: «ما تقرب إلي عبدي بمثل البر بوالديه» وذلك لإدخال السرور على قلبي الوالدين . . والطاعة تكون فيما شرعه الله، مما فيه منفعة للوالدين، وليس فيه ضرر ظاهر على الابن، فإذا أمراه بشيء محرم كالسرقة أو الرشوة أو ترك الصلاة أو عدم صوم رمضان فلا تجب طاعتهما، بل تحرم الطاعة، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وإلى جانب الطاعة في غير معصية الخالق عز وجل لابد من أن يكون الابن قريباً من والديه برعاهما على أفضل ما تكون الرعاية، ولذلك قال كثير من العلماء باستحباب سكن الابن مع والديه أو بالقرب منهما لتقديم الرعاية لهما والاطمئنان عليهما باستمرار .

ومن البر بالوالدين الإنفاق عليهما خاصة إذا كانا في حاجة إلى المال ولا يوجد لديهما ما يكفي لبعيشا حياة كريمة بين الناس . . والرسول صلى الله عليه وسلم يعطي للأباء حق الاخذ والولد كما يفيد قوله: «إن أولادكم من أطيب كسبكم، فكلوا كسب أولادكم» ويقول في حديث آخر: «إن أطيب ما أكلتم من كسبكم، وإن أولادكم من كسبكم، فكلوا هنيئا مريئا» . ويروى أن رجلا جاء إلى أبي بكر رضي الله عنه وقال له: إن أبي يريد أن يأخذ مالي عنه ولا يدع لي منه شيئا فقال أبو بكر للأب: إنما لك من ماله ما تكفيك . . فرد عليه الأب: يا خليفة رسول الله: أليس رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القائل: «أنت ومالك لأبيك».

العاق يعرض نفسه لسخط الله وعقوبته

وبينه الدكتور الفقار، الأبناء في ضرورة احترام مشاعر الوالدين، وعدم تفضيل احد في الحياة عليهما، ويقول: كثير من الأبناء بعد الزواج يفعلون تحت سطوة وزغبات زوجاتهم ويفعلون كل ما تطلبه الزوجة حتى ولو كان معاملة الأبوين قسوة وهذا من العقوق الذي حذر منه الله ورسوله . . فمعاملة الزوجة في إطار المودة والرحمة كما أمر الله ورسوله لا ينبغي أن تكون على حساب الوالدين .

ومن البر بالوالدين محبة أصدقائهما وأقاربهما وبرهم، فهذا من البر الذي جاءت الأمر ببره الوالدين، وقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على ذلك فقال: «إن أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه».

ومن البر بالوالدين معاملتهما بالرحمة، قاله سبحانه وتعالى بقول: «واخفض لهما جناح الذل من الرحمة» فواجب الابن أن يسعى لإرضاء والديه بكل الوسائل المشروعة .

ومن البر بالوالدين الدعاء لهما بالرحمة . . وهذا الدعاء جعله الله في مقابل تربية الوالدين له . . قال تعالى: «وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيراً» فمالجسمان إلى الوالدين بكل نحو وده ورد الجميل إليهما، وهو بلا شك يعيش سعيدا وسط أسرته ويحظى بحب أفرادها وتقديرهم له ويعظمهم عليه .

وإلى جانب كل ذلك يبارك الله في عمر ورزق كل إنسان بار بوالديه، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول في الحديث الشريف: «من سره أن يمد له في عمره، ويزداد له في رزقه، فليبر والديه، وليصل رحمه» ويقول في حديث آخر: «من بر والديه طوبى له زاد الله في عمره» .

أيضاً من الآثار الإيجابية لبر الوالدين في الدنيا أن يحظى الإنسان البار بوالديه بهذه النعمة في حياته، فكما تدين تدان، فكل من بر والده سيكون جزاؤه بالمثل . . فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «برّوا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم» كما أن بر الوالدين يكفر الذنوب ويزيل الآثار المعاصي، فقد ذهب رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال له: «إني ارتكبت ذنبا عظيما، فهل لي من توبة» فقال له: هل لك من أم؟ قال لا . قال فهل لك من خالة . قال نعم . قال: فبرها» . و قال الإمام أحمد من حديث رحمه الله: «إن بر الوالدين يكفر الذنوب الكبائر» .

ومن هنا يخاطب الدكتور مبروك عطية كل الآباء العاقين ويقول لهم تودوا إلى الله وأسرعوا إلى التخلص من هذه الرذيلة حتى تحظوا برضا الله وعفوه . . فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رضا الله في رضا الوالد، وسخط الله في سخط الوالد» . لا تدفعوا أبناءكم إلى الدعاء عليكم فدعاء الوالدين لا يرد كما أخبرنا بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث دعوات لا شك في إجابتهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على الولد» .

كيف يكون البر؟

الدكتور إسماعيل الدفار الأستاذ بكلية أصول الدين بالأزهر وعضو مجمع البحوث الإسلامية يشرح لنا كيف يكون بر الوالدين وكيف يجلب الإنسان لنفسه رضا الله ورضا الوالدين ورضا واحترام كل الناس فيقول: البر بالوالدين يكون بطاعتهما، وتكون هذه الطاعة بتحقيق رغبتهما، ما يسرهم إليهما وذلك لإدخال السرور على قلبي الوالدين . . والطاعة تكون فيما شرعه الله، مما فيه منفعة للوالدين، وليس فيه ضرر ظاهر على الابن، فإذا أمراه بشيء محرم كالسرقة أو

واحة الصائم

إعداد/
نورالدين المقراني

الاعتكاف سنة مؤكدة

عن عائشة رضي الله عنها : ((أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفاه الله عز وجل ، ثم اعتكف أزواجه من بعده)) متفق عليه.

والاعتكاف من السنن المهجورة التي قلّ العمل بها وغفل عنها كثير من الناس ، قال الإمام الزهري رحمه الله : ((عجباً للمسلمين ! تركوا الاعتكاف مع أن النبي صلى الله عليه وسلم ما تركه منذ قدم المدينة حتى قبضه الله عز وجل)).

في ذكاء أم المؤمنين

حدثنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة قالت:

قلت: يا رسول الله، أرأيت لو نزلت وادياً فيه شجر أكل منها، ووجدت شجراً لم يؤكل منها، في أيها كنت ترتع بعيرك؟

قال: في التي لم يرتع منها".

تعني أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً غيرها.

(ذكاء أعرابي)

حدث عيسى بن عمر قال: ولي اعرابي البحرين، فجمع يهودها وقال: ما تقولون في عيسى ابن مريم؟

قالوا: نحن قتلناه وصلبناه.

فقال الاعرابي: لا جرم، فهل اديتم ديته؟

فقالوا: لا

فقال: والله لا تخرجون من عندي حتى تؤدي إليّ، فما خرجوا حتى دفعوها له.

(الأذكياء، لابن الجوزي ص٩٩)

(الجرح الذي لا يندمل)

قيل لأعرابية: ما الجرح الذي لا يندمل؟

قالت: حاجة الكريم إلى اللئيم ثم يرده.

قيل لها: فما الذل؟

قالت: وقوف الشريف بباب الدنيء، ثم لا يؤذن له.

(أم الندامة)

قال أعرابي: إياك والعجلة فإن العرب كانت تكنيها "أم الندامات، لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكر، ويقطع قبل أن يقدر، ويحمد قبل أن يجرب، ويذم بعد الحمد، ومن كان كذلك، صحب الندامة واعتزل السلامة.

أمثال يمنية خالدة
(مَنْ صَان برّ الناس صانوا شعيره)

صان من الصيانة اي المحافظة، اي من حافظ على اشياء الناس حافظ الناس على أشيائه .